المملكة العربية السعودية
لجنة التنمية الاجتماعية الأسرية خميس مشيط
مسجلة بوزارة الشؤون الاجتماعية برقم (٢٥٩)
إشراف : مركز التنمية الاجتماعية بتندحة

أسرة سعيدة لمجتمع سعيد

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل زوجاته ؟

إعداد د. عبد الله بن ناصر السدحان
E-mail : ansadhan @ gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل زوجاته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلقد حرص الإسلام على توثيق العلاقة بين الزوجين، وجعلها في أعلى مستويات الحميمية، لما لها من الأثر الايجابي ليس على مستوى المنزل وأهله فحسب، بل على المجتمع بشكل عام، فالإسلام يريد من حياة الزوجية أن تكون سكنا، يقول الله عز وجل: (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) (الروم، الآية: ٢١). والسكن هنا بمفهومه الشامل وليس السكن المادي فحسب أي مأوي للنوم والأكل والشرب، بل يراد منه أن يكون سكنا نفسيا، واجتماعيا تطمئن النفس بدخوله، يتزود منه المسلم الطاقة ليواصل إعمار الأرض في خارجه، وهو كما قال القرطبي: " المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض. وقال ابن عباس رضي الله عنه: المودة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء.

لأجل هذا كله لا عجب أن نجد ذلك الاحتفاء بموضوع العلاقة بين الزوجين في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يدل على الحرص الشديد على تماسكها، فمن الحث النظري إلى الفعل العملي في مجمل حياته صلى الله عليه وسلم، فبداية يحث على الخوف من الله عز وجل في النساء فيقول صلى الله عليه وسلم أمام أكبر حشد عرفه المسلمون وهو قائم يخطب في حجة الوداع: (**فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**) (رواه مسلم). ويوصى من بعده من المسلمين بالنساء خيرا، ويؤكد على ذلك بقوله: (**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**) (رواه البخاري). ثُم يحدد صلى الله عليه وسلم الخيرية في العلاقة الزوجية، بقوله صلى الله عليه وسلم: (**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**) (رواه الترمذي، وصححه الألباني)، فميزان الخيرية الاجتماعية، والخُلُقية للرجل هنا، هو مقدار حسن المعاشرة للزوجة وحسن صحبته لها، فبمقدار حسن العشرة تكون درجة الخيرية.

ولن يصل الزوج إلى تلك الخيرية دونما حسن عشرة، ولين جانب منه لزوجته، وهذا لن يتأتي إلا بمعرفة خصائص الزوجة وطبائعها التي جُبلت عليه، حتى يتمكن من التعامل معها في ضوء تكوينها النفسي والاجتماعي، فمعرفة الشيء يسهل عملية التعامل معه، ولنا في ذلك أسوة حسنة من حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلقد

خبُر نفسية عائشة رضي الله عنها في مسألة دقيقة قد لا ينتبه لها كثير من الأزواج، وهو من هو بمشاغله وتعـــدد مهامه، وتعدد أزواجه ففي الحديث الذي يرويه البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنـــها: **(إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قَالَتْ فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ فَقَالَ أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ قَالَتْ قُلْتُ أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ)**. فمن خلال المعايشة لعائشة رضي الله عنها استطاع التعرف على جزء مـــن شخصيتها، وهذا التعرف الدقيق، يؤكد تعرفه صلى الله عليه وسلم على ما هو أكبر منه، وبهذه الطريقة يكـــون التعامل وفق المعرفة، ليصل بها إلى الخيرية التي عناها صلى الله عليه وسلم بقوله: **(وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)**.

ومن تلك الخيرية التي تحلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهله، كانت كل معاملاته، ومن ذلك رحمته وحسن تعامله مع زوجاته صلى الله عليه وسلم، مساعدته لأهله في بيته قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت ماذا يصنع في بيته فقالت رضي الله عنها: **(كان فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ)** (رواه البخاري) ، وتفسر عائشة رضي الله عنها هذه مهنة أهله التي يكون عليها في بيته فتقول: " يَخِيط ثَوْبه ، وَيَخْصِف نَعْله ، وَيُرَقِّع دَلْوه، وَيَحْلُب شَاته ، وَيَخْدُم نَفْسه مَا كَانَ إِلَّا بَشَرًا مِنْ الْبَشَر". وما تلك التصرفات التي تبدو منه صلى الله عليه وسلم أو الأعمال التي يقوم بها إلا منطلقة من رحمته بأهل بيته وتخفيفا عليهم من مشاق العمل. ومن رحمته صلى الله عليه وسلم، نجده يؤثر زوجاته على نفسه في بعض المواقف التي يحتاج في المرء إلى مساعدة، وذلك ما كان منه صلى الله عليه وسلم مع صفية رضي الله عنها، في عودتهم من خيبر، فيتحدث أنس بن مالك رضي الله عنه قائلا: **(أَنَّهُ أَقْبَلَ هُوَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيَّةُ مُرْدِفُهَا عَلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَثَرَتْ النَّاقَةُ فَصُرِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَرْأَةُ وَأَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَالَ أَحْسِبُ اقْتَحَمَ عَنْ بَعِيرِهِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ هَلْ أَصَابَكَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ لَا وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْمَرْأَةِ فَأَلْقَى أَبُو طَلْحَةَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَصَدَ قَصْدَهَا فَأَلْقَى ثَوْبَهُ عَلَيْهَا فَقَامَتْ الْمَرْأَةُ فَشَدَّ لَهُمَا عَلَى رَاحِلَتِهِمَا فَرَكِبَا فَسَارُوا)** (رواه البخاري)، فقد كان من رحمته أن أمر أبا طلحة أن يبدأ بصفية ويتأكد ألا تكون قد أُصيبت، أما هو صلى الله عليه وسلم فسيكون بعد التأكد أن زوجته صفية رضي الله عنها لم تصب.

وهذا الموقف يظهر جزءاً من شخصيته صلى الله عليه وسلم الرحيمة بزوجاته، وهكذا تكون الخيرية للأهل التي حث أمته عليها. والمواقف في ذلك كثيرة لمن أراد أن يحصيها، ولكن مما تحسن الإشارة إليه، هو أن رحمتـــه صلى الله عليه وسلم، وشفقته تزداد حين يكون ما يوجب ذلك، كأن تمرض إحداهن، فمن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها وهي تقصُ حادثة الأفك وأنها استغربت تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم بقولها: "ويريبني في

وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك" (رواه البخاري). ومن كل ذلك نجد أن زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، يعشن في ظلال رحمتين صادرتين عمن وصفه الله عز وجل بأنه رحيم، فالرحمة الأولى هي النابعة من قوله عز وجل:(**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**) (التوبة، الآية:١٢٨)، والرحمة الأخرى ما ورد في قول الله عز وجل: (**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**) (الروم، الآية:٢١)،

ومن صور التعامل الأخلاقي الراقي ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه رضوان الله عليهن لإدخال السرور عليهن، فقد كان يمازح بعضهن، ويلعب مع بعضهن، ويضحك مع بعضهن، فمن ذلك حديث المسابقة المشهور مع عائشة رضي الله عنها عائشة، حيث تقول: (**خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلْ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ فَقَالَ لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ لِي تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ هَذِهِ بِتِلْكَ**) (رواه الإمام أحمد). فلم يمنعه كونه مع أصحابه أن يجد الوقت المناسب لذلك اللهو المباح وفي الحديث وقفات جديرة بالتأمل، فمن ذلك أنه اختار زوجته بين كل الصحابة ليمارس ذلك اللهو، و لم يكن عدد الصحابة قليل، حيث كانت تلك الممارسة بعد عودته من غزوة بني المصطلق. ثُم أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتمل الموقف الترويحي الأسري، بتهيئة المكان، حين قال للصحابة رضوان الله عليهم (**تَقَدَّمُوا**)، لكي يعطي المزيد من الحرية في اللهو المباح لزوجته عائشة رضي الله عنها.

وكان صلى الله عليه وسلم يحب زوجاته، ويثني عليهن، ويمدحهن و لم يكن يأنف من التصريح بذلك، وفي الحديث الصحيح أنه كان يقول عن خديجة رضي الله عنها (**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**) (رواه مسلم). ويسأله عمرو بن العاص رضي الله عنه، من أحب الناس إليه ؟. فيجيبه صلى الله عليه وسلم: (**عَائِشَةُ قُلْتُ مِنْ الرِّجَالِ قَالَ أَبُوهَا قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ عُمَرُ**) (رواه البخاري)، ويثني عليها رضي الله عنها بقوله صلى الله عليه وسلم: (**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**) (رواه البخاري). وبلغ به الأمر صلى الله عليه وسلم أن يرفض دعوة من دعاه دون أن تشاركه زوجته عائشة رضي الله عنها، فيروي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (**أَنَّ جَارًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارِسِيًّا كَانَ طَيِّبَ الْمَرَقِ فَصَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ. فَقَالَ: وَهَذِهِ؟. لِعَائِشَةَ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، فَعَادَ يَدْعُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَذِهِ؟، قَالَ: لَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا. ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَذِهِ؟. قَالَ: نَعَمْ فِي الثَّالِثَةِ فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ**) (رواه مسلم)،

وفي ذلك من الإكرام لزوجه ما يبلغه أحد من العالمين فقد رفض الدعوة من جاره إلا أن تشاركه زوجه ذلك المرق الطيب، وما كان لينفرد صلى الله عليه وسلم بذلك وهو القائل: (**وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**).

وكان من محبته صلى الله عليه وسلم لهن يغار عليهن، وهي غيرة من غير ريبة كما ذكرها صلى الله عليه وسلم في قوله: (**إِنَّ مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ الْخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ**) (رواه النسائي). وهذا جزء من صور التعامل الأخلاقي له صلى الله عليه وسلم مع زوجاته، وكيف لا يكون كذلك وهو يصف نفسه بأنه شديد الغيرة فعندما بلغه من الصحابة رضي الله عنهم، قول سعد بن عبادة: (لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ). فقال صلى الله عليه وسلم: (**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**) (رواه البخاري)، ويصف أنس بن مالك رضي الله عنه، حرصه صلى الله عليه وسلم على ستر نسائه في أحد المواقف مع زوجته صفية رضي الله عنها فيقول: (**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ**)

وبعد فهذه كانت بعضا من صفاته الخُلُقية صلى الله عليه وسلم، مع زوجاته رضوان الله عليهن، وفيها صورة من تعامله الأخلاقي العالي معهن، وفيها نموذج يُحتذى، لمن كان طالبا الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. إلا انه على الرغم من كل ذلك الود، والرحمة في تلك البيوت النبوية، فإنها لم تكن تخلو من بعض المشكلات الأسرية أحيانا، وبعض المنازعات بين زوجاته بعضهن مع بعض، " ويخطى من يجردهن من بشريتهن، ومن يدقق في حياتهن مما جاء يجد ضروبا من المغاضبة ومن المنافسة، وألوانا من الغيرة التي تحتدم حتى تجاوز المدى". ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يتعامل معها بحكمة ويضع الشيء موضعه، لذا لا عجب أن كانت المشكلات الأسرية قليلة في حياته صلى الله عليه وسلم، على الرغم من وجود عدد من الزوجات لديه، وما ذلك بعد توفيق الله عز وجل إلا بسبب تمثله الخيرية لأهله من جانب، ومن ثم فهمه لنفسيات النساء عموما والزوجات خصوصا خاصة في حالة الغيرة. لذا حري بالمسلم طالب السعادة الزوجية أن يقتدى بالنموذج الأسمى، تعبدا لله عز وجل في إتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك تلمسا للطرق الحكيمة والوسائل السليمة للعيشة الهنيئة مع الزوجة.

إعداد د. عبد الله بن ناصر السدحان
ansadhan @ gmail.com E-mail: